شادي الظلام!

« وكنا أول الليل نقلا وثيراً انحنى
الشاعر عوده ورواح يغني عليه . . . »

إذا الليل أرخى عليه الستول وخبّأه الليل في سِتره
ذوى نفسه تحت جنح الظلام كأن كان أودع في قبره !

*

ومن عجب لا يضيء السراج وضوء السراج بيد الظُّلَمْ
ولكنه صار يخشى النهار ويهوى الظلام، ويهوى العدم !

*

يغني ، ليسمع صوت الحياه ويعرف أن بعد لمّا بمتْ
ويرجو من الموت أن يعتريه ويطوي سباه إذا ما سكتْ

*

يغني، ولكن بصوت ذبيحْ وقلب على اللحن لا يطربُ
في جوفه من كبار الهموم معين على الدهر لا ينضبُ

*

يغني بلا رغبة في الغناء وكيف يغني بقلب جريحْ ؟
ولكن إذا شاقه في الماء سمير ، تغنى لكيما يلوحْ

*

يغني ليخدع أعداءه إذا امتلأ السمع من لحنه
ولكنه يتحاشى العيون لئلا ترى الدمع في جفنه

يغني ويرهف من سمعه لكي يسمع الباب إذ يطرقُ
فإن « نونوت » قطة في القلام يهش بقلب لها يخفقُ

*

يعابثه الوهم أني يروح فيحسب أن قد رأى زائرا
ويمضي إلى الباب من فوره ويرجع من يأسه ثائرا

*

ويلقي بأحزانه في الفراش ولو شام روحاً لكان اشتكى
ولكنه مفردٌ في الحياة وما يملك الفرد غير البكا ؟

*

فيبكي ولكن بدمع صموت وصوت حبيس كصوت العدمْ
ولما يثوب يرى نفسه خجولاً ، يحس بوخز الندمْ

*

يظنّ البكى حطة في الرجال فيحبس أدمعه جاهدا
ويزعم أن طرقه أرمد ويفرك في عينه عامدا

*

وما الناس جاهلة بالعيون ولا القوم لا يدركون الأسى
ولكن يظنون فيه الظنون وهل يغلب الحزن إذ ما قسى ؟

*

إذا الليل أرخى عليه السدول وخبأه الليل في ستره
بكى وحشة من عوادي الزمان كأنّ كان أودع في قبره

« كناري »